

تركيا وتطورات القضية الفلسطينية

المدرس

الدكتور

صادق جابر علي (*)

المقدمة

ثمة عوامل كثيرة ومتعددة أسهمت بصورة أو بأخرى في خلق المناخ الأمني المعقد المحيط بإسرائيل. من بينها التاريخ الطويل المشحون بالحروب والمنازعات والصعوبات المختلفة التي واجهتها الدولة العبرية لتأمين بيئة تحفظ لها أمنها ووجودها ومستقبلها. فمسألة الأمن بالنسبة لإسرائيل تعد في غاية الأهمية. وتتصدر قائمة مكونات الأهداف الإستراتيجية العليا لها. ويجري تصوير الأوضاع والمتطلبات الخاصة بهذه المسألة على أنهما يشكلان مرادفا لوجود الدولة العبرية. من هنا فإن الحفاظ على الأمن الإسرائيلي إزاء المخاطر الداخلية والخارجية يتم من خلال التشديد على تجنيد مختلف الطاقات الذاتية والتحالفية في اتجاه يهدف الحفاظ على هذه المسألة.

هذا وفي الوقت الذي تتوقف فيه إستراتيجية الأمن الإسرائيلي على عوامل ذاتية في الدرجة الأولى فثمة تغيير مستمر سببه السعي الإسرائيلي الدائم لتحسينه وبات الحفاظ على هذا الأمن يرتبط بظروف البيئة الإستراتيجية التي راحت تتحكم بها متغيرات داخلية وخارجية وتخضع لمعطيات الواقع الراهن وتحولات السياسة الدولية. ومن المعروف أن ثمة مبادئ أنبنت عليها العقيدة الأمنية الإسرائيلية التي يرى المراقبون بأنها في لحظة تحول تاريخية وحقيقة في مجال إعادة النظر في عمقها الإستراتيجي العام وهذا ما بات يطرح على طاولة مفكرها ومخططها الإستراتيجيين وبدت المبادئ التي أسست عليها النظرية الأمنية الإسرائيلية تتغير نتيجة صعوبة البيئة الإستراتيجية التي تواجه صناع القرار الإسرائيلي وقد أصبحت أكثر تعقيدا إلى حد بعيد فمبدأ أرض إسرائيل الكبرى بدأ يتلاشى شيئا فشيئا منذ اليوم الذي وقعت فيه

(*) مركز الدراسات الفلسطينية. جامعة بغداد.

إسرائيل أتفاق "أوسلو" والمراحل التي مر بها وما رافقها من تطورات متلاحقة في التفكير الأمني الإسرائيلي " وما خطة الفصل أحادية الجانب والانسحابات الإسرائيلية من الأراضي الفلسطينية إلا دليل على الانعطاف التي حصلت في النظرية الأمنية الإسرائيلية التي أخذت على عاتقها استيعاب المتغيرات الداخلية والخارجية المختلفة اختلافا كبيرا عن وقائع العقو الأولى التي رافقت نشوء الدولة العبرية.

سنتناول في بحثنا هذا مناقشة أثر المتغير الاقتصادي في الأمن الإسرائيلي من خلال

المباحث التالية:

- مفهوم الأمن الإستراتيجي.
- المتغيرات الاقتصادية الداعمة للأمن الإسرائيلي.
- المتغير الاقتصادي وأثره على الأمن الإسرائيلي في المستقبل.
- ثمة الخاتمة والاستنتاجات.

المبحث الأول مفهوم الأمن الإسرائيلي

لقد عمدت الإمبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية إلى زرع الكيان الصهيوني "إسرائيل" في فلسطين كهدف إستراتيجي ليفصل بين جناحي الأمة العربية " ليكرس تجزئتها^(١) " ثم جاء الرفض العربي القاطع لوجود هذا الكيان في قلب الأمة العربية ليشكل عقدة مستديمة شغلت صناع القرار الإسرائيلي خوفاً على مستقبل أمن إسرائيل^(٢).

ويرى بن غوريون "مؤسس نظرية الأمن الإسرائيلية " أن ضمان أمن إسرائيل يعد في طليعة أهداف السياسة الإسرائيلية وأن تزايد الاهتمام بالأمن لدى إسرائيل يعود إلى متغيرين أساسيين هما^(٣).

متغير ديني اجتماعي: ويدور هذا حول العقلية الصهيونية ومرجعيتها التلمود والتوراة اللاتي ملأن بأمانى الأمن والدائرة الإجتماعية التي عاش فيها اليهود ضمن فترات قديمة عانوا فيها من الاضطهاد والعزلة.

(١) سلمان رشيد سلمان، إسرائيل والخليج العربي، مجلة آفاق عربية، العدد "٧" بغداد ١٩٧٧، ص ١٦.
(٢) محمود خليل، مبادئ، نظرية الأمن الإسرائيلية، مجلة البقطة العربية، العدد "٩" الكويت ١٩٨٦، ص ٥٢-٥٣.
(٣) المصدر نفسه، ص ٥٣.

متغير جيو سياسي: وهو ناتج عن الكيفية التي أنشأت بها إسرائيل داخل المنطقة كجزء غريب داخل الجسد العربي: وسوف يعمل هذا الجسد على رفض الجزء الغريب بكل قواه.

وفي جانب آخر يقول (بن غوريون) أن بلادنا ليست سوى قطعة صغيرة ضمن مساحة شاسعة متصلة مليئة كلها بالشعوب العربية) وأننا قلة) وحتى أن تضاعفنا عدة مرات سنبقى أقلية صغيرة ضمن هذا البحر العربي) ولذا هناك عدة أمور من شأنها أن تدعم وتحصن أمن إسرائيل) إضافة للجيش هنالك الهجرة الجماعية والاستيطان وتوزيع السكان^(١).

ولكي نفهم عمق وأتساع مفهوم الأمن منذ الأساس الذي أرساه بن غوريون ذكر في أحد أقواله "في حالتنا يؤدي الأمن دوراً أكثر أهمية مما في البلدان الأخرى وهو لا يعتمد على الجيش فحسب فالأمن يعني استيطان الأماكن غير المأهولة توزيع السكان بناء الصناعات في أرجاء البلاد تطوير الزراعة الأمن معناه احتلال البحر وتحويل إسرائيل إلى قوة بحرية عظمى ويتطلب استقلالاً اقتصادياً كما يتطلب تطوير الأبحاث والمهارات العلمية"^(٢).

ولعل هذا المفهوم الشمولي للأمن هو الذي جعل المواطن الإسرائيلي يسلم للقيادات الإسرائيلية في هذه الجوانب فهناك () % من المواطنين مستعدون لتقبل سياسات الدولة الأمنية على الرغم من أنهم متشككون ومرتابون في مواقفهم من كبار الضباط والسياسيين حيث أن () % من الإسرائيليين يتقنون بالقيادات السياسية بشكل مطلق () % يتقنون بالقيادات العسكرية بشكل مطلق^(٣).

لاشك أن القوة العسكرية الصهيونية أصبحت مؤهلة لمواجهة أي دولة تحاول تهديد الأمن الصهيوني حيث ارتفعت قدرات وإمكانيات تل أبيب النووية في فترة وجيزة فمنذ العام ١٩٦٥ حتى العام ١٩٨٥ كانت إسرائيل تمتلك عدداً محدوداً من القنابل النووية ثم أستطاعت رفع إمكانياتها في العام ١٩٨٥ إلى أكثر من (١٠) قنبلة ورأساً نووياً بين (١٠ -) قنبلة نووية إستراتيجية) ونحو () قنبلة نووية

(١) مشهور سلامة، نظرية الأمن الصهيوني من هوشمير إلى الخيار النووي، ط٢، مطابع اليقظة، الكويت ١٩٨٥، ص ١٦-١٥.

(٢) عزمي بشارة، من يهودية الدولة حتى شارون، القاهرة ٢٠٠٠، ص ٨٤-٨٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ٨٦.

تكتيكية وصغيرة من جانب آخر تعمل إسرائيل وفق إستراتيجية تقوم على منع أي ولة عربية من امتلاك سلاح نووي حتى ولو أدى ذلك إلى استخدام القوة^(١).

ويتصل بما سبق نظرية الأمن الإسرائيلية تركز على ضمان توفير القدرات الشاملة لما تراه ضروريا لتأمين كيان الدولة وحماية مصالحها الحيوية وبصفة خاصة من خلال القدرات العسكرية المتقدمة لذا سعت إسرائيل لامتلاك منظومة كاملة من أسلحة الدمار الشامل بمختلف أنواعها فضلا عن وسائل حملها وإطلاقها بمستوياتها التكتيكية والإستراتيجية المختلفة ومن هنا سعت الولايات المتحدة لضمان التفوق الكمي والنوعي لإسرائيل لدرجة أنه أصبح جزءا من السياسة الخارجية الأمريكية بدء من إدارة الرئيس كندي وحتى اليوم^(٢).

بدأت الأوساط الأمنية الإسرائيلية في الآونة الأخيرة بمناقشة للإستراتيجية النووية للدولة العبرية والتي تم وضعها في بداية الثمانينات وتستمر حتى العام مما يحتم على صانع القرار العربي معرفة أسس وماهية هذه السياسة تقوم على أسس من أهمها: ^(٣)

أولاً: تحقيق جوهر سياسة الأمن الإسرائيلية في الاعتماد على الحدود الآمنة والتفوق التكنولوجي والنوعي في التسليح والارتباط بحليف قوي: وممارسة إحدى إستراتيجيات الردع ضد مصادر التهديد وهي سوريا والعراق ومصر وإيران وليبيا حتى العام : وقد كان الحليف النووي وحتى منتصف الستينات هو الولايات المتحدة: ثم أنضمت إليها فرنسا وأبرمت مع إسرائيل اتفاق العام حول التعاون الثنائي في مجال الأبحاث النووية وتطوير الصواريخ الحاملة للأقمار الصناعية.

ثانياً: السبق في امتلاك القدرة النووية في منطقة الشرق الأوسط والحرص على امتلاك واحتكار السلاح النووي في المنطقة ومنع أي دولة عربية من تنفيذ برنامج نووي عسكري سواء بالعمل العسكري المباشر مثل ضربة العام □ لمفاعل تموز-- في العراق أو بتوظيف الضغوط الأمريكية على الدول العربية لإحباط برامجها النووية ومنع تطويرها.

(١) محمد عبد السلام، احتمالات ومحاذير استخدام السلاح النووي في الشرق الأوسط، من كتاب الخيارات النووية في الشرق الأوسط، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ٢٠٠١، ص ٢١٥.

(٢) مشهور سلامة، مصدر سابق، ص ٣٨-٣٩.

(٣) محمود سعيد عبد الظاهر، الخيار النووي الإسرائيلي، من كتاب الخيارات النووية في الشرق الأوسط، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٥-١٣٨.

فالعقيدة القتالية الإسرائيلية قامت على فلسفة "المفتوح غير المقيد" "تجنب المعركة داخل مناطق السيطرة الإسرائيلية" ونقلها ومدها إلى ميدان الطرف الآخر" على شكل ضربات صاعقة وسريعة" وتجنب الدخول في أية معارك أستنزاف طويلة المدى" وتحقيق الحسم السريع والأنتصار العسكري الشامل والنهائي" والانتقال إلى الدفاع عن المكاسب المتحققة والحفاظ على الوضع الراهن والتلويح بقوة الردع الشامل" فضلا عن تجاوز مذهب الحرب الوقائية (الأستباقية) الذي يعد من أقوى مذاهب العقيدة القتالية الإسرائيلية وأشدّها أهمية في تاريخ الحروب العربية-الإسرائيلية) وكما استطاعت الأنتفاضة أن تهز المفهوم التقليدي "للأمن القومي الإسرائيلي" من خلال وضع جيش الاحتلال ومؤسساته الأمنية أمام حالة أستنفار مستديمة" أستطاعت أيضا أن تؤثر على الرؤية الثانية للأمن القومي الإسرائيلي" تنجح بها نحو المزيد من التأكيد على ضرورة التسوية مع الشعب الفلسطيني وفق الشرعية الدولية" في الوقت الذي تتخبط فيه النظرية الأمنية الإسرائيلية الثالثة القائمة على أساس العزل والفصل والجدران.^(١)

وبعيداً عن الإشارات العنصرية التي تحملها النظرية الأمنية الإسرائيلية والجدار الفاصل بكل تعبيراته من تكريس العزل تجاه الشعب الفلسطيني وإعادة إنتاج نظام البانتوستانات "الأبارتيد" فإنه من الناحية العسكرية لم يكن لفكرته أن تولد داخل المخابرات الإسرائيلية لولا الخسائر الباهضة التي لحقت بالطرف الصهيوني" خصوصاً بعد عجز حملة "الصور الواقية" دون أن توقف العمل الفلسطيني المقاوم للإحتلال الإسرائيلي فوق الأراضي المحتلة في العام والعمليات التعجيزية داخل حدود العام وعجز شارون وأركان جيش الإحتلال وأجهزة الأمن من السيطرة على الوضع الأمني وضبط عبور "القنابل البشرية" بالرغم من الآلام والخسائر الهائلة التي لحقتها قوات الإحتلال في صفوف الشعب الفلسطيني^(٢).

وفي الجانب الآخر من الموضوع فإن التحولات الجديدة التي طرأت على تشكيل خريطة القوى في العالم بعد أنهيار الكتلة الشرقية وحلف وارشو والتطور الكبير في تقنيات وتكنولوجيا العتاد القتالي أحدث تغييرا واضح المعالم في فلسفة

(١) طلال محمد كداوي، الإتفاق العسكري الإسرائيلي ١٩٦٥-١٩٩٠، سلسلة أطروحات الدكتوراه "٣"، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٧، ص ٢٠٧-٢٠٨.

(٢) مشهور سلامة، مصدر سابق، ص ٦٧.

ومفهوم الأمن عند مختلف الجهات الإسرائيلية وعلى كافة مستوياتها بينما يصر البعض ممن يطلق عليهم صفة الحرس القديم أو جيل "الآباء المؤسسين للدولة الصهيونية" ومعهم شرائح جديدة من أجيال شباب اليمين الصهيوني في نسقيته العلماني والتوراتي على ترديد ركائز المفهوم التقليدي "لأمن القومي الإسرائيلي" والمتمثل بالاحتفاظ بعنصر الأرض وجغرافيتها في تحقيق الأمن " يرى البعض الآخر ومنهم بعض رجالات جيل "المؤسسين" بأن التطور التكنولوجي خصوصاً تكنولوجيا الصواريخ بالستية والقنابل البشرية "الاستشهاديين" قد ألغى مفهوم الأمن القائم على "حدود آمنة" بالمعنى الجغرافي ليحل محله مفهوم آخر للأمن يقوم على "التوصل إلى اتفاقيات سلام مع الأطراف العربية" مضافاً إليها أملاك الدولة العبرية قوة متفوقة تقنياً وتكنولوجيا على المستويين العسكري والاقتصادي^(١).

وعليه فاكتمال المعرفة بجوانبها المختلفة عند أنصار المفهوم الجديد "لأمن القومي الإسرائيلي" وفي رأي "مفيد حاييم وايزمان" زعيم المنظمة الصهيونية العالمية وهو سلاح إسرائيل الجبار وشريان القوة ومصدر الدفاع في مواجهة القنابل البشرية المتوقعة في كل لحظة^(٢) عليها وتخفيض الضغط ما أمكن على المناطق الساحلية المزدحمة بالسكان فأستغلت المنازل العربية المهجورة في إسكان المهاجرين^(٣).

وهكذا نجد أن عدد السكان اليهود في فلسطين أرتفع نتيجة لقدم هذه الموجات من الهجرة وللتزايد الطبيعي وساهمت بلدان شمال أفريقيا بالجزء الأكبر من هذه الهجرة^(٤).

وقد كان للهجرة الواسعة خلال النصف الأول من الستينات أثر كبير على إنعاش الاقتصاد وخاصة الحركة العمرانية فقدم " ألف مهاجر سنوياً بثبات خلال المدة (١٩٤٩ - ١٩٥٥) أدى إلى توسيع حركة البناء وانخفاض المفاجئ للهجرة في النصف الآخر من العام ١٩٥٥ لى انخفاض حركة البناء ومع استمرار انخفاض الهجرة عام ١٩٥٥ وما رافقها من أنكماش قطاع البناء أرتفع عدد

(١) أزهار عبد الله الحياي، الوظيفة القومية لإسرائيل بعد الحر الباردة، وآفاقها المستقبلية، رسالة ماجستير في منشورة، كلية العلوم السياسية/ جامعة النهرين، ٢٠٠١، ص ١٤٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٤٩.

(٣) حبيب قهوجي، بنية ومشاكل التجمع الاستيطاني الصهيوني في فلسطين المحتلة، سلسلة دراسات الأرض " ١١"، ط ١، دمشق ١٩٨٣، ص ٦٦.

(٤) الياس سعد، الهجرة اليهودية إلى فلسطين؛ مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٩٩، ص ٨٠.

العاطلين عن العمل] وعند سماع يهود العالم بالأوضاع الاقتصادية المضطربة في إسرائيل وعزوفهم عن الهجرة إليها مما ساعد في تأجيج حدة البطالة] وفي وسط هذه الظروف أفتعلت إسرائيل الأزمة مع الدول العربية تمهيداً لعدوان العام [على أمل أن يؤدي ذلك إلى تحسين وضعها الاقتصادي.^(١)

المبحث الثاني المتغيرات الاقتصادية الداعمة للأمن الإسرائيلي

إن من أهم المتغيرات الاقتصادية الداعمة للأمن الإسرائيلي إضافة إلى "الهجرة والاستيطان" التي سنتناولها في هذا المبحث هو تداخل الاقتصاد الإسرائيلي مع الاقتصاد الفلسطيني ومشروع الشرق أوسطي" والمعونات الخارجية (سواء كانت هبات أم قروض) وهذا ما سنتناوله في المبحث القادم) إذ أن لموضوع الهجرة والاستيطان علاقة مباشرة برواج الاقتصاد الإسرائيلي (لأن انخفاض موجات الهجرة يؤدي إلى الكساد الذي هو من أهم المشاكل التي يواجهها الاقتصاد الإسرائيلي إضافة إلى سياسة إسرائيل الأمنية التي جعلت من أماكن المستوطنات الخط الأول عند تعرضها لأي هجوم خارجي.

إذ أدت موجات الهجرة الكبيرة إلى سوء الأحوال الاقتصادية في إسرائيل لما رتبته من مشاكل اقتصادية واجتماعية في مجال أستيعاب المهاجرين^(٢).

أما في مجال الاستيطان فنجد أن سلطات الاحتلال ركزت على أسكان المهاجرين في المناطق الجديدة التي أستولت عليها للتخلص من الركود والبطالة تؤكد النظرة إلى إسرائيل ما بعد الحرب صحة هذه الفرضية إذ وصلتها ملايين من الدولارات كمساعدات أثناء الحرب وازدادت حركة الاستثمار الأجنبي وحركة بيع المستندات الإسرائيلية في الولايات المتحدة والدول الأوربية وكذلك قامت بفرض منتجاتها على المناطق التي أحتلتها عام^(٣).

ولكن رغم تحسن الأوضاع الاقتصادية لم يسهم ذلك في تحسين وضع الهجرة أستمر العزوف عن الهجرة إلى إسرائيل وهنا جاءت مساعدة الصهيونية العالمية للهجرة إلى إسرائيل من قبل يهود أوروبا الغربية حتى ولو كانت الحياة فيها غاية في الصعوبة وحتى وإن لم يتوفر الاستقرار^(٤).

(١) مصدر سابق، ص ٨٥-٨٧.

(٢) الياس سعد، الهجرة اليهودية إلى فلسطين، مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٦٩، ص ٤٨.

(٣) الياس سعد، نفس المصدر، ص ٩٠.

(٤) ولیم فہمی، الهجرة اليهودية إلى فلسطين، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٧١، ص ١٤٦.

وفي العام شنت إسرائيل حملة إعلامية واسعة النطاق لتهجير أكبر عدد ممكن من يهود العالم إلى فلسطين وأستمرت موجات الهجرة حتى الوقت الحاضر ونلاحظ حدث تراجعاً في حجم الهجرة ففي العام () وصل إلى فلسطين حوالي () مهاجر) وتزامنت ظاهرة انخفاض نسبة الهجرة مع ظاهرة الهجرة المعاكسة) وهذه الظاهرة برزت كنتيجة لتدهور الأوضاع الأمنية والاقتصادية والسياسية بفعل الانتفاضة) ففي العام () وصل إلى إسرائيل () مهاجر) وغادروها () شخصاً^(١).

إستناداً لما تقدم تبين أن الهجرة شكلت العمود الفقري لزيادة عدد السكان منذ تأسيس (دولة إسرائيل) وحتى الوقت الحاضر) وأن تعداد اليهود في فلسطين بلغ () ألف نسمة في العام () وأزداد في العام () إلى () مليون نسمة) ساهمت الهجرة اليهودية بنسبة () () % في هذه الزيادة^(٢).

وأهمية الهجرة لا تسهم فقط في نمو السكان بل إلى نوعية المهاجرين أن مصدر الهجرة كان في معظمه من دول أوروبا والولايات المتحدة إذ لم ينخفض معدل نسبة المهاجرين من هذه الدول عن () % قبل قيام إسرائيل بينما بلغت النسبة () % كمتوسط للمدة (-) وهذا يؤشر تدفق مهاجرين يتمتعون بمستويات تعليم عالية ويتمتعون بالخبرات والمهارات الضرورية للتنمية^(٣).

أما بالنسبة إلى الجانب الأمني فنلاحظ أن إسرائيل جعلت من المستوطنات خط الدفاع الأول عنها ففي حال تعرضها لأي هجوم مباغت تكون مهمة المستوطنات مقاومة الهجوم وتعطيل قدرات العدو الهجومية لحين تكامل الجيش الإسرائيلي^(٤).

أرادت إسرائيل للمستوطنات أن تحمي الحدود وأن تتحمل نتائج الضربة الأولى في أية حرب محتملة يشنها العرب على إسرائيل وهي التي عناها "شارون"

(١) عبد الحميد العلوجي، الهجرة الصهيونية إلى فلسطين، دار الجمهورية للطباعة، بغداد ١٩٦٨، ص ٤٢.

(٢) عبد الكريم محمد الخفاجي، إستراتيجية الأمن الاقتصادي الإسرائيلي، مركزاتها المالية واتجاهاتها في ظل المتغيرات الاقتصادية، جامعة بغداد ٢٠٠٣، ص ٣٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٧.

(٤) هدى شاكر معروف، اتجاهات السياسة الخارجية الإسرائيلية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم السياسية/جامعة النهرين ١٩٩٩، ص ١٨١-١٨٥.

بحديثه عن الزمن الحرج لأجل أن تتمكن إسرائيل من تهيئة الاحتياط للرد بالهجوم المقابل^(٥).

أما بالنسبة للجوانب الأيديولوجية فإن المستوطنات إحدى الوسائل لتحقيق حلم أرض الميعاد فالتركيبة الأيديولوجية لإسرائيل قائمة على مفهوم الاستيطان الذي في طبيعته فكرة العداء للآخرين والرغبة في التفوق^(٦).

إن العقيدة الأمنية التي تبنتها إسرائيل جعلت من الأزمات والمشاكل الاقتصادية نتيجة حتمية في نهاية المطاف وهذه العقيدة تصب في اتجاهين هما^(٧):

بناء قوة عسكرية ضارية في مقدورها حماية الأراضي المغتصبة والاستمرار في كبت التطلعات الوطنية لشعب فلسطين والتأثير على الدول العربية المجاورة من أجل الحيلولة دون نجاحها في بناء قوة عسكرية واقتصادية ذاتية باستطاعتها مواجهة التحديات الإسرائيلية.

بناء مجتمع رفاه يتمتع بمستويات معيشة مرتفعة باستطاعته إغراء غالبية يهود العالم على الهجرة إلى فلسطين.

ولما كانت متطلبات تحقيق كل هدف تتناقض مع متطلبات تحقيق الهدف الآخر ولما كان على إسرائيل تحقيق كلا الهدفين معا دون التنازل عن إحداهما تبرز أهمية المعونات الخارجية في تحقيق الأمن^(٨).

من خلال ما تقدم برز لدينا اتجاهين حول التأثيرات الاقتصادية والأمنية للمعونات التي تصل إلى إسرائيل وهما^(٩):

الاتجاه الذي يركز على المعونات في تحقيق التنمية.

الاتجاه الذي يركز على دور المعونات في بناء القوة العسكرية إذ تتفق معظم الدراسات الاقتصادية على أن للمعونات الاقتصادية دورا مهما في تعجيل عملية التنمية وأن الدول التي تتبنى برامج التنمية الاقتصادية تواجهها عقبات أهمها عقبة

(٥) زكريا القفاز، الدور العسكري للمستوطنات الصهيونية، نشرة الدراسات العسكرية، مركز الدراسات الفلسطينية، العدد "٣" ٢٠٠٢، ص ١٥.

(٦) عبد الله صالح، المستوطنات في السياسة الخارجية الإسرائيلية، مجلة السياسة الدولية، العدد "٢٦" القاهرة ١٩٩٦، ص ١٠٥.

(٧) المصدر نفسه، ص ١٠٨.

(٨) محمد عبد العزيز، المعونات الأمريكية لإسرائيل، ط ١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٠، ص ٢١٦.

(٩) خليل حماد، المساعدات الأمريكية لإسرائيل وللأقطار العربية، دراسة مقارنة، مجلة المستقبل العربي، العدد "٨٩"، بيروت ١٩٨٦، ص ٥٨.

"فجوة المدخرات" وعقبة فجوة (الصرف الأجنبي) والتي تشكل قيداً على عملية التنمية.

إن فجوة المدخرات هي الفرق بين المدخرات المتوفرة لدى البلد الذي يعكف على برامج للتنمية الاقتصادية) وبين المدخرات اللازمة لتحقيق معدل مقبول للتنمية) وأما فجوة الصرف الأجنبي فهي الفرق بين العملات الأجنبية المتوافر) وبين العملات الأجنبية اللازمة لتمويل إستيراد رأس المال والسلع الوسيطة وأستخدامه في عملية التنمية) وهنا يأتي دور المساعدات الخارجية في سد فجوة الصرف الأجنبي وفجوة المدخرات) وبالتالي تعطيل عملية التنمية^(١)

كما أسهمت المعونات بشكل كبير في تحديد حدة العجز في الحساب الجاري في ميزان المدفوعات الإسرائيلي فأخفض العجز الذي كانت نسبته (%) للمدة من () إلى () () () للمدة من () ثم بلغت متوسط نسبة العجز () () () للمدة () مما يدل على الأهمية الحيوية لهذه التحويلات في تخفيض العجز في الحساب الجاري وبالتالي تسهيل عملية التنمية^(٢) وللتنمية هنا دور كبير في دعم الأمن من خلال بناء مستعمرات جديدة ومن خلال خلق قدرة اقتصادية كافية تستطيع إسرائيل من خلالها إغراء يهود العالم للهجرة إلى إسرائيل وخاصة يهود الدول الغربية والولايات المتحدة الأمريكية الحياة في إسرائيل ستصبح مساوية لظروف حياة اليهود في بلدانهم وفي الوقت نفسه سوف تحد إسرائيل من موجات الهجرة المعاكسة.

ومن خلال ذلك ستحقق إسرائيل هدفا مزدوجا يصب في وعاء تحقيق الأمن الإسرائيلي فهي من ناحية تستقدم مهاجرين جددًا وتحد من الهجرة العكسية) وبذلك ترجح الوضع الديمغرافي لصالحها على حساب العرب الفلسطينيين) ومن ناحية أخرى فإن هؤلاء المهاجرين يجلبون معهم الخبرة والكفاءة ورؤوس الأموال التي ستصب في دعم التنمية من جديد.^(٣)

أما عن دور المعونات في بناء القوة العسكرية يتلخص في دور المعونة المقدمة إلى إسرائيل في بناء القوة العسكرية التي تدعم الأمن من خلال محورين هما:

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٣٨.

(١) عبد الكريم محمد الخفاجي، إستراتيجية الأمن الاقتصادي الإسرائيلي، مصدر سابق، ص ٤٢.

(٢) حسن نافعة، هل تستطيع إسرائيل الإستغناء عن المعونة الأمريكية، مجلة السياسة الدولية، العدد "١٢٦"، القاهرة ١٩٩٦، ص ٩٥.

هيكلية المعونة المقدمة إلى إسرائيل التي تشير إلى غلبة المكون العسكري لهذه المعونة نسبة إلى المكون الاقتصادي إذ تشكل المعونة العسكرية نسبة (%) مقابل (%) معونة اقتصادية لأعوام (-) (١).

المعونات الاقتصادية المقدمة إلى إسرائيل سوف تذهب إلى خدمة ديون إسرائيل الخارجية ومعظم هذه الديون هي ديون عسكرية تطلبتها الميزانية العسكرية الإسرائيلية الضخمة : هذه المعونات سوف توفر لإسرائيل القدرة على خدمة ديونها دون اللجوء إلى سياسة خفض ميزانية وزارة الحرب الإسرائيلية (٢).

المبحث الثالث المتغير الاقتصادي وأثره على الأمن الإسرائيلي في المستقبل

لقد زرعت إسرائيل في قلب الوطن العربي بصورة شاذة لم يسبق أن زرع كيان سياسي أو تنظيم سلطوي بصورة مماثلة لها وأستخدمت أسلوب الاحتلال والتوسع لاستمرار وجودها وأعتمدت على دعم قوى دولية ذات مصالح استعمارية في إسنادها وإمدادها بكل ما تحتاج من دعم مادي ومعنوي وهكذا ولدت مشكلة الأمن من رحم الحركة الصهيونية ممثلة بإسرائيل (٣).

كما يعد منطق التفكير الإستراتيجي الإسرائيلي انعكاساً للوضع أو الطريقة التي نشأت وتكونت بها إسرائيل (شعب بلا أرض) تجسيداً لمقولة (أرض بلا شعب لشعب بلا أرض) وهي المقولة التي وجدت سبيلها إلى حيز التنفيذ نتيجة المساعي الحثيثة والمكثفة التي قامت بها الحركة الصهيونية منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر) حيث تركز التأكيد على فكرة أنه لا خلاص من عداة الشعوب لليهود في المجتمعات الأوربية إلا بإتلافهم وأنفصالهم عنها) وإيجاد أرض تجمعهم من الشتات لوحدهم) وقد مرت هذه الفكرة قبل أختمارها على أرض الواقع بعدة محطات منها المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بال في سويسرا عام ١٨٩٧ ومروراً بوعدهم بلفور عام ١٩١٧ وأنتهاءً بقرار تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧ وهو القرار الذي لم

(٣) منار الشاوي، الانعكاسات المباشرة للانتفاضة على المجتمع الاقتصادي الصهيوني، نشرة إسرائيل من الداخل، مركز الدراسات الفلسطينية، العدد "٦"، بغداد ٢٠٠٢، ص ٨.

(٤) محمد عبد العزيز ربيع، المعونات الأمريكية في إسرائيل، مصدر سابق، ص ١٤٠.

(١) سلمان رشيد سلمان، مصدر سابق، ص ١٩.

يحقق الحلم الصهيوني بوجود الأرض ليهود العالم إنما كان بوابة الانفتاح على كامل التراب الفلسطيني^(١).

ومن هنا حاولت إسرائيل لملمة وضعها المبعثر وتحقيق أمنها من خلال عدة مسالك مختلفة أبرز هذه المسالك هو المتغير الاقتصادي^(٢) فالمتغيرات السياسية الدولية التي حصلت خلال العقد الأخير من القرن الماضي في زوال الإتحاد السوفيتي السابق وتفرد الولايات المتحدة الأمريكية بالقرار السياسي العالمي وتوقيع اتفاقيات السلام والمحادثات الثنائية والمتعددة الأطراف وطروحات المشروع الشرق أوسطي والشرق الأوسط الكبير^(٣) كل هذه عوامل أسهمت بفتح الأبواب واسعة أمام التوجهات الإسرائيلية لتحقيق أهدافها الإستراتيجية العليا في المنطقة وأكثر من ذلك فإن إسرائيل (ونتيجة لتلك المتغيرات تسعى لأن تكون زعيماً وطنياً اقتصادياً وسياسياً في المنطقة يدفعها إلى ذلك أملاكها قاعدة علمية متطورة قادرة على بناء صناعات المستقبل التي تعتمد على القدرات الفنية لتنفرد إسرائيل بامتلاك الميزة النسبية لهذه الصناعات من بين دول المنطقة^(٤) فالتطور العلمي الشرط الضروري لبناء إمبراطورية أو دولة قوية قادرة على التمدد خارج حدودها الجغرافية فكل الدول الاستعمارية القوية والإمبراطوريات لم تكن لتتصف بذلك قبل أن تحقق تقدماً اقتصادياً وعلمياً والشواهد التاريخية تدل على ذلك لا سيما أن إسرائيل ودولة داود وسليمان على وفق الفكر الصهيوني^(٥).

ومع ذلك فإن أمام إسرائيل تحديات اقتصادية كبيرة قد تحول دون تحقيق أهدافها التوسعية العليا وفي مقدمة تلك التحديات هي المعضلة السكانية المتمثلة بانخفاض مستوى النمو الطبيعي على حاله مترافقاً مع جانب آخر مهم وهو انخفاض مستوى الهجرة إلى إسرائيل وارتفاع نسبة الهجرة المعاكسة كذلك أسهمت في خلق "البطالة- التضخم- عجز الميزانية" التي أدت إلى تفاقم مشكلة إسرائيل الاقتصادية متزامناً مع ضعف قاعدة الموارد الطبيعية^(٦).

وهكذا وجدت إسرائيل في الدول العربية المجال الحيوي الذي تحاول من خلاله معالجة مشاكلها وترتيب أوضاعها بشكل أفضل لتضمن موقع الصدارة الإقليمية

(١) عبد القادر محمد فهمي، المدخل إلى دراسة الإستراتيجية، بغداد ٢٠٠٤، ص ٢٥٠.

(٢) محمود خليل، مصدر سابق، ص ٥٦.

(٣) عبد المنعم المشاط، الأمن القومي العربي على مشارف التسعينات، مجلة شؤون عربية، العدد، القاهرة ٢٠٠٠، ص ٣٥-٣٦.

(٤) محمود عيد فضل، مشاريع الترتيبات الاقتصادية الشرق أوسطية، التطورات- المحاذير- أشكال المواجهة، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد ١٧٩، بيروت ١٩٩٤، ص ٤٦-٤٧.

(٥) المصدر نفسه، ص ٤٨.

مستقبلا تلافيا لاحتمالات تعاظم أزماتها الاقتصادية واحتمالات تراجع نفوذ وتأثير القوة الداعمة لها وهي الولايات المتحدة الأمريكية عن طريق توظيف تفوقها الحالي وتفوق حليفها الإستراتيجي وإنفراده على الساحة الدولية مقابل ضعف وتفكك عربي واضح وخطير^(١).

ومن هنا فإن المستقبل في كل المتغير الاقتصادي يحمل صورة ضبابية لإسرائيل فإذا ما أرادت تحقيق أمنها فهي أما أن تعالج مشاكلها الاقتصادية الداخلية بنفسها وهذا أمر غير وارد كون المشاكل الاقتصادية التي تعاني منها إسرائيل مشاكل هيكلية فوق إمكانيات صانع القرار الإسرائيلي وقدراته وستبقى السياسات الاقتصادية المتبعة تمثل مسكنات سرعان ما يختفي مفعولها لتطفو المشكلة الاقتصادية على السطح من جديد أما الخيار الثاني فهو تحميل الدول العربية المشاكل الاقتصادية التي تعاني منها وهذا الخيار الذي سيتبع على الأرجح في المستقبل ويجري تطويره في الوقت الحاضر حيث ستشكل الدول العربية بإمكانياتها الاقتصادية الضخمة من موارد اقتصادية طبيعية بما فيها من موارد طاقة وروؤس أموال كبيرة وطاقة أستييعابية هائلة البسم الذي يشفي الأمراض الاقتصادية التي يعاني منها الاقتصاد الإسرائيلي وعليه لا بد من التأكيد على الحقائق الآتية:^(٢)

. سيظل مفهوم الأمن يتسع ويتطور متجاوزا القياسات التي تضعها الوحدات السياسية الدولية لوضعه وتأطيره ليتضمن سعي الشعوب وتطلعها الدائم وجدها في البحث عن معطيات السلم أتصاحا وتطبيقا لا سيما وأن تجارب التاريخ ودروسه كانت ولم تزل تؤثر بذاتها المنعطف الأخير الذي مر به النظام الدولي ومثال على ذلك ما أبدعته الصهيونية من أفكار ومشاريع خطيرة سجلت تجاوزا لمفهوم الأمن ومعطياته ووسائل طمأننته.^(٣)

. مفهوم الأمن عامة وإن بدأ منطلقا من الإحساس والشعور الذاتي بالقلق إلا أن الواقع المعاصر أنه أضحي أداة إفصاح وبلورة للإمكانيات والتعامل مع فرص تقويضها العوائق التي تحددها وذلك هو جوهر الأمن الذي عثر عليه الإسرائيليون حالهم في ذلك حال الأمريكان.

(٣) عبد الكريم محمد عبد الخفاجي، مصدر سابق، ص ٨٧.

(١) مصدر سابق، ص ٣٨.

(٢) محمد إبراهيم المصباح، التسوية في الفكر الصهيوني بين الإستراتيجية والتكتيك، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين ٢٠٠١، ص ٦٥ - ٦.

. إن المفهوم الإسرائيلي للأمن وإن أُتخذ معطيات البناء التي توافر عليها اليهود مقدمات انطلاق لصياغة عناوينه فإنه يظل يحمل فضلا عن أنطلاقيته وحساسيته تجاه أي فعل مقابل حتى ولو كان من الداخل الصهيوني يستظل بالرؤية التي أفصحت عنها الحركة الصهيونية العامة حيث لا لتفوق الآخرين ولا شيء يحد من قدرته على أنمام ذلك لذا جاءت وسائله تدميرية للآخرين وبنائية للذات وهذا هو سر بشاعة مفهوم الأمن الإسرائيلي ومكمن خطورته^(١)

. لعل من بين أهم المتغيرات المؤثرة في الأمن الإسرائيلي هو المتغير الاقتصادي الذي تتوزع تأثيراته في اتجاهين متناقضين^(٢)

الأول: يتعلق بالمتغيرات الاقتصادية الداعمة للأمن الإسرائيلي والتي تتوزع إلى عدة جوانب هي الهجرة والاستيطان وتداخل الاقتصاد الفلسطيني مع الاقتصاد الإسرائيلي: والمشروع الشرق أوسطي والمعونات الاقتصادية الخارجية

الثاني: يختص بالمتغيرا : الاقتصادية المهمشة للأمن الإسرائيلي والتي تتوزع بين مقاطعة اقتصادية وضعف قاعدة الموارد الطبيعية لإسرائيل ومشاكل الهجرة والاستيطان والأختلالات الاقتصادية الهيكلية التي يتعايش معها الاقتصاد الإسرائيلي.

.. من الطبيعي القول أن تزايد معدلات الهجرة إلى رواج الاقتصاد الإسرائيلي وأنخفاضها يؤدي إلى الكساد الذي يعد من أخطر المشاكل التي تواجه الاقتصاد الإسرائيلي كذلك الحال بالنسبة للاستيطان إذ جعلت إسرائيل منه خط الدفاع الأول عنها في حال تعرضها لأي هجوم عربي مباغت^(٣) حيث تكون مهمة هذه المستوطنات مقاومة الهجوم وتعطيل قدرات العدو الهجومية لحين تكامل استعدادات الجيش الإسرائيلي^(٤) وهكذا تكون المستوطنات أحد الوسائل لتحقيق حلم "أرض الميعاد" فالتركيبة الأيديولوجية لإسرائيل قائمة على مفهوم الاستيطان الذي يحمل في طياته فكرة العداء للآخرين والرغبة في التفوق عليهم بكل ما يعنيه ذلك لضمان الأداء الاقتصادي المتميز^(٥).

(. إن الاقتصاد الإسرائيلي كأى اقتصاد أستمعاري يطبق الآليات الرأسمالية ظل يعمل على تفعيل الفائض الاقتصادي من الأرض الفلسطينية ومن خلال قنوات مختلفة كالضرائب الكمركية والضرائب المباشرة إلى هياكل أدائه لتمكين إسرائيل من إدماج المناطق

(٣) المصدر نفسه، ص ٦٨.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) الياس سعد، مصدر سابق، ص ٥٦-٥٧.

العربية المحتلة اقتصاديا بها بكل ما تعنيه ذلك من تدعيم لهيكلها الإنتاجي وتخفيف حدة مشاكلها الاقتصادية وذلك عبر أسلوبين^(١):

الأول: التراكم البدائي من خلال مصادرة الكميات العامة والخاصة ونهب الثروات العربية
الثاني: أسلوب التبادل غير المتكافئ وما يعنيه من أستغلال مضاعف للعمل العربي في نواتجه.

. تسعى إسرائيل من خلال المشروع الشرق أوسطي إلى تحقيق منافع ومزايا اقتصادية مهمة من شأنها أن تضيف إلى منافع سياسية وأمنية^(٢)
. تلعب المعونات الخارجية بعناوينها المختلفة دورا كبيرا في بناء القوة العسكرية الداعمة للأمن الإسرائيلي من خلال محورين^(٣):

الأول: يتعلق بهيكلية المعونة الخارجية المقدمة لها والتي تشير إلى غلبة المكون العسكري فيها قياسا بنسبة المكون الاقتصادي والمعونة العسكرية تشكل نسبة (%) مقابل (%) معونة اقتصادية.

الثاني: يتركز على خدمة فوائد الديون الإسرائيلية الخارجية إذ أن معظم ديون إسرائيل هي ديون عسكرية تطلبتها الميزانية العسكرية الإسرائيلية الضخمة وهذه المعونات لا توفر لإسرائيل القدرة على خدمة ديونها دون اللجوء إلى سياسة تخفيض ميزانية وزارة الحرب.

.. مقابل ذلك تلعب المقاطعة الاقتصادية لإسرائيل دورا مهما ليس في تعطيل الاقتصاد الإسرائيلي فحسب بل في محاربة التوجهات المتطرفة لدعم أمنها إذ أن هدف المقاطعة ليس منع التعامل المباشر وغير المباشر بين البلدان العربية وإسرائيل فقط بل إلى ملاحقة علاقات إسرائيل الاقتصادية الخارجية أيضا^(٤).

. تحتضن الاقتصاد الإسرائيلي جملة من المشاكل الاقتصادية الحادة التي تعكس حالة من أختلال التوازن الاقتصادي الداخلي والتي تكمن جذورها في ضغوطات الطلب المدعومة بالعجز الكبير والمستمر للموازنة العامة مثل البطالة والتضخم مما يجعل هذا الاقتصاد بحاجة ماسة ومستمرة للإعلانات والقروض الخارجية والمساعدات المؤثرة بوجودها وتواردها على نسب الهجرة والاستيطان^(٥).

(١) وليد خالد حسين الأعظمي، التسوية ومستقبل الاقتصاد الإسرائيلي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين ٢٠٠٢، ص ١٠٥-١٠٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٠٧.

(٣) سلمان رشيد سلمان، العلم والتكنولوجيا والمؤسسة العسكرية الإسرائيلية، مجلة دراسات الدار العربية للنشر والترجمة، العدد "٤٠"، القاهرة ١٩٩٠، ص ٣٥.

(٤) عبد علي كاظم المعموري، التحرير والتكليف الاقتصادي ممكنات للأختراق الإسرائيلي للاقتصادات العربية، مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية، العدد "٣" ٢٠٠١، ص ٩٥.

(٥) المصدر نفسه، ص ٩٦.

الخاتمة والاستنتاجات:

كما تأكد بأن اعتماد القيادات السياسية الإسرائيلية على كافة الموارد الاقتصادية وتسخيرها من أجل تعزيز أمنها وجرى التأكيد على أهمها هو (الهجرة والاستيطان) لأن التهديدات الخارجية التي تهدد كيانهم هي مسألة مسلم بها وإن المنهج الأمثل لمواجهة تلك التهديدات يتمثل في امتلاك القدرات العسكرية التي تضمن للدولة مواجهة تلك التهديدات وقد أكدت إسرائيل ذلك عند صياغتها لإستراتيجيتها الأمنية الجديدة بإدراك دقيق لمتغيرات البيئة الأمنية ومتطلبات مستقبلها.

٣) المصدر نفسه، ص ٩٧.